جورجيـــاس
او البيان
لافلاطونه
للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ٦ —

(تنزل « جورجياس » من آثار « أفلاطون » منزلة الشرف ، لأنها أجل محاوراته وأكملها وأجدرها جميعاً بأن تكون « إنجيلا » للفلسفة !)

« رينوفييه »

«إنما تحيا الأخلاق الفاضلة دائما وتنتصر لأنها أقوى وأقدر من جميع المهاجمين ! »

« جورجياس : أفلاطون »

الأشخاص

١ — سقراط : بطل المحاورة : « ط »
٢ — جورجياس : السفسطائي : « ج »
٣ — شيريفين : صديق سقراط : « سه »
٤ — بولوس : تلميذ جورجياس : « ب »
٥ — كاليكليس : الأثيني : « ك »[1]

(تابع ما قبله)

ج — وأضيف إلى هذا أنه إذا دخل طبيب وخطيب مدينة ما، ثم احتاج الأمر إلى المفاضلة بينهما أمام الجمهور المجتمع أو أمام أية هيئة أخرى ، فانه لن ينتبه أحد إلى الطبيب : وسنفضل من هو قادر على الكلام إذا كان بالفعل كذلك . وقل بالمثل إذا نافس الخطيب أي رجل من رجال المهن الأخرى ، : إذ دائما ما يفضل الخطيب غيره مهما كان ذلك الغير . لأنه ليست هناك مادة ما إلا ويستطيع أن يتكلم فيها أمام الناس بطريقة أكثر إقناعا من طريقة أي صاحب مهنة أخرى مهما كان شأنه ! ، والحق أن للبيان ذلك المرمى وتلك الخاصة ! ولكن يجب ألا نستعمله مع ذلك ياسقراط إلا كما نستعمل التدريبات الأخرى ، ذلك أنه ولو أن الانسان يستطيع أن يتعلم بتلك التدريبات الملاكمة وطرق استعمال أسلحة الحرب الأخرى بطريقة تكفل له قهر الأصدقاء والأعداء على السواء ، فانه لا يجوز له أن يستعملها من أجل ذلك ضد الجميع ، أوأن يضرب بها أصدقاءه ويطعنهم ويقتلهم ! — ولا يجوز لذلك الذي أكثر من التدريب في الملاعب ، وكوّن فيها جسما قويا ، وأصبح بين جدرانها مصارعا مجيدا ، لا يجوز له أن يضرب أمه أو أباه أو أحدا من أقرباء والديه وأصدقائه ، وأن يعادي ويكره مدربي الرياضة والسيف فيطردهم من المدن ! إذ الحق أن هؤلاء المدربين لم يروضوا تلاميذهم بهذه التدريبات إلا بقصد أن يحسنوا استعمالها ضد الأعداء والأشرار ، وفي الدفاع لا الهجوم ! فاذا وجه التلاميذ بعد ذلك قوتهم وحيلتهم إلى الشر على غير قصد أساتذتهم ، فلا ينتج عن هذا أن أساتذتهم أشرار — وأن فنهم شرير ، لأن الخطأ قائم فقط — كما أرى — فيمن يسيئون استعمال الفن ؟ .

وهكذا نستطيع ياسقراط أن نصدر نفس الحكم على البيان: إذ الحق أن الخطيب يستطيع أن يتكلم ضد الجميع وعن كل شيء لأنه أجدر الناس باقناع الجماهير بما يريد ، ولكن ما كان هذا ليساعده قط على تشويه اسم الأطباء وغيرهم من رجال المهن الأخرى لأن الأمر على نقيض ذلك تماما ؛ وإذا فلا يجب أن نستعمل « البيان » إلا وفقا لقوانين العدالة كما هو الحال في التدريبات الأخرى . فلئن أساء أحدهم — ممن قد أعدوا له — استعماله كقوة وفن بقصد ارتكاب عمل ظالم ، فلن يكون لنا الحق — فيما أظن — أن نتهم على العمل وحده ونكره الأساتذة الذين لقنوا الفاعل ذلك الفن وننفيهم من المدن ، لأنهم لم يلقوا بفنهم بين يديه إلا بقصد أن يستعمله في أغراض ولأسباب عادلة ، فراح هو يستعمله استعمالاً يناقض قصدهم تمام التناقض ؛ وإذا فالعدل هنا أن نكره التلميذ المسيء وأن نطارده ونقتله ، وليس العدل أن نفعل ذلك مع الأساتذة !!

ط — أظن ياجورجياس أنك قد اشتركت مثلي في مناقشات

(١) انتهى جورجياس في العدد الماضي إلى قول يعجب لغواه أن الخطباء هم أصلح الناس للكلام في شئون الحرب من حصار وهجوم وتحصين ، وأن الأطباء كثيرا ما فشلوا فيما قد نجح فيه أهل البيان ! وسنرى اليوم كيف يعلن سقراط آراء أفلاطون الخالدة في ضرورة الترحيب بالنقد ما دام هو الأداة التي تحرر العقل من ظنونه وأخطائه ، وكيف ينثني بعد ذلك على صاحبنا جورجياس فيوقعه في التناقض المثير للضحك . « المعرب »

كثيرة ، وأنك قد لاحظت فيهـا شيئا : هو أن الناس عندما يشرعون فى المناقشة يجدون مشقة كبيرة فى تحديد أفكارهم من سائر النواحى ، وفى الوصول إلى موضـوع المناقشة بتوضيحه لأنفسهم وتحقيقه على التبادل ، وإذا ما نشأ بينهم بعض التناقض وادعى أحدهم أن الآخر لايتكلم إلا بقليل من الوضوح والحق ، فانهم يغضبون ويظنون أن المقاطعة إنما توجه إليهم بباعث الحسد وأن المرء إنما يتكلم بعامل الخصومة دون أن يبغى توضيحا للقضية المعروضة . ولذلك ينتهى الأمر ببعضهم إلى تبادل الشتائم المقذعة ثم الانفصال بعد الاحتكاك بشخصيات بغيضة ممقوتة ، كما ينتهى بالمشتركين إلى (المساعدين) فى المناقشة إلى أن يستنكفوا من وجودهم فى مثل تلك الأحوال [1]

فهل تدرى لم أخبرك بذلك ؟ إنما أخبرك به لأنه يلوح لى أنك لا تتكلم الآن بنحو مجد وبطريق يلتئم تماما مع ما قررت من قبل عن البيان ! ؟ وأفهم أنى إذا ما ناقضتك فسوف لا تقول إن قصدى هو أن أناقضك وأن أقوم فى وجهك ، وإنما ستقول إن قصدي هو أن يتضح لنا فقط موضوع الحديث ! ؟ فاذا كنت تنظر للأمر كما أنظر إليه فسأسائلك باغتباط ؛ وإلا فلن أذهب معك إلى أكثر من ذلك ، وهاك نظرتى : إننى من أولئك الذين يحبون أن يُناقَضوا عند ما لا يقولون الحق ، ولكنهم يحبون أيضاً أن يُناقِضوا غيرهم عندما يرونهم حائدين عنه ، وليس سرورهم بعد هذا من مناقضة غيرهم لهم بأقل من سرورهم عند ما يناقضون هم غيرهم ! إذ الحق أنى أعتبر المناقضة يا جورجياس خيراً عظيما ، وأرى أن الأفضل لنا هو أن نخلص أنفسنا أولا من أسوأ الشرور بدلا من أن نخلص غيرنا منها ؛ كما أنى لم أعرف بعد وزراً يعدل وزر أن يكون لدينا أفكار خاطئة عن الموضوع الذى نعالجه [2] ؛ فاذا كان حقاً ما تدعى من أنك مثلى فى النظر والاستعداد فلنعد للمناقشة ، وإذا كنت ترى أنه يجب أن نتركها حيث وقفنا فليكن ما تريد ولينته الحديث

ج — إنى لأفخر يا سقراط بأنى من أولئك الذين صورتهم تصويراً ، ومع هذا فأحسب أنه يجب أن نعنى كذلك بأولئك الذين يشتركون معنا فى الحديث لأنى قد شرحت لهم أشياء كثيرة قبل مجيئك بزمن طويل ، وإذا نحن عدنا إلى المناقشة فيها ثانياً فسيذهب بنا القول بعيداً جداً . ولهذا يحسن أن نفكر فيهم حتى لا يبقى منهم من يكون له عمل آخر يشتغل به أثناء الحديث [1]

س — إنكما لتسمعان بنفسكما يا جورجياس وسقراط ذلك الصوت الذى يحدثه الحاضرون ليكون شاهداً على رغبتهم فى الانصات إليكما إذا واصلتما الحديث وأرى من ناحيتى أنه لا يرضى الآلهة أن يكون لدى من الأعمال الكثيرة الهامة ما يضطرنى إلى ترك مناقشة كلها الفطنة والنطق كيما أشتغل بما هو أكثر ضرورة منها !

ك — لقد أصبت وحق الآلهة جميعاً يا شيريفين ! فأنا الآخر أشتغل بأعمال كثيرة ولكنى لا أعرف منها أبداً عملا واحداً يسبب لى من اللذة بقدر ما تسبب لى هذه المناقشة . ولعل هذا هو السر فى أنكما تطوقان جيدنا بالفضل (يا جورجياس وسقراط) إذا شئنا وتناقشنا هكذا طوال اليوم !

ط — لن تجد يا كاليكس أية عقبة من ناحيتى إذا وافق جورجياس على المناقشة .

ج — ليكونن عاراً على ألا أوافق بعد اليوم يا سقراط ، خصوصاً وقد ادعيت لنفسى القدرة على إجابة جميع ما يوجه إلى من الأسئلة ، فلنعد إلى الحديث ما دام فى ذلك سرور للحاضرين واعرض على ما تراه جديراً بالعرض [2]

ط — فلنعرف إذا ما يدهشنى من حديثك ! — وقد يكون أنك لم تقل غير الحق وأننى قد أسأت الفهم ! — إنك تدعى أنك تستطيع أن تجعل ممن يرغب فى دروسك خطيباً ؟!

ج — نعم

ط — ومعنى ذلك أنك تجعله قادراً على الكلام فى كل موضوع بطريقة ساحرة أمام الجماهير بحيث يقنعهم دون أن يعلمهم ؟!

ج — تماماً [3]

(يتبع)

محمد حسن ظاظا

---

(١) أليس ذلك ما يحدث اليوم تماماً ؟ فلنحن الرأس إذن لأفلاطون !

(٢) أحسب عظمة هذا القول الخالد واضحة

(١) يلاحظ هنا تهرب جورجياس وخوفه من أن يكشف سقراط عن أخطائه فيما سلف له من قول فى منزل كاليكس ، وهو لذلك يبغى الكلام فى أشياء جديدة بحجة أن تناول القديم يصرف المستمعين عن المناقشة

(٢) إنها الحيرة الكبيرة التى تحمل الأستاذ المغرور على هذا الرد الماكر

(٣) هكذا تدخل المحاورة فى موضوعها الأساسى شيئاً فشيئاً وأحسب القارئ الكريم قد بدأ يلمس معنا طرافتها وإحكامها وجمال أسلوبها ودقة نقدها وتهكمها

« المعرب »